

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
(معهد الدوحة)



www.dohainstitute.org

دراسة

تنمية اللّغة ولغة التّمية في الوطن العربيّ

د. عبد الرحمان يجيوي

سلسلة (دراسات وأوراق بحثية)

تنمية اللّغة ولغة التّمية في الوطن العربيّ

١ - مقدّمة:

١ - في نقد الوضع العامّ للّغة العربيّة

أ- في تعقيدات المشهد اللّغويّ في الوطن العربيّ

ب- واقع وصف المشهد اللّغويّ: من الوصف إلى التّفسير

٢ - استثمار التّراكمات والمؤهّلات الذاتيّة والموضوعيّة للّغة العربيّة

٣ - تنمية اللّغة باب التّمية الشّاملة

الخاتمة

- مقدمة:

يجرّ البحث في وضع اللّغة العربية إلى الخوض في جدال لغويّ وفكريّ متعدّد الأبعاد يغلب عليه في نظرنا بعدان أساسيان هما "تنمية اللّغة" و"لغة التّمنية"؛ إذ كيف تتحقّق التّمنية الشّاملة بغير تنمية لغويّة؟ وكيف نحصّن هويّتنا من دون هويّة لغويّة؟ إنّ التنمية اللّغويّة هي باب التنمية الشّاملة، كما أنّ نقد الأوضاع اللّغويّة وتدبير التعدّد اللّغويّ وترشيد الازدواجيّة اللّغويّة تعدّ من عناصر الحلّ الأمثلّ للمعضلة اللّغويّة لتكون أداة لإنتاج المعرفة وترويجها، ووسيلة التّمنية وأداتها.

١ - في نقد الوضع العامّ للّغة العربيّة

المشهد اللّغويّ القائم في الوطن العربي في الوقت الراهن بأوضاعه ومتغيّراته وتوجّهاته يدعو إلى التأمّل، ويتطلّب النّقد. كما يدعو إلى إعادة استثمار كلّ الجهد الجادّ الذي بُذل في سبيل تطوير أداء اللّغة العربيّة في الحياة العامّة. إنّ ما حقّقه الدراسات الأكاديميّة في مجال البحث اللسانيّ بصفة خاصّة؛ وفي مجال البحث المرتبط باللّغة في جانبها الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ والنفسيّ والتربويّ بصفة عامّة؛ يجب ألا يبقى أبحاثاً علميّةً محنّطة في الأبراج الأكاديمية ورفوف المكتبات، وإنّما يجب أن يكون عملاً في خدمة اللّغة، وأن يستثمر في تطويرها، وتعزيز دورها باستعمالها وقوّة تداولها^(١). ولا يمكن أن يتحقّق ذلك إلا بفحص هذا المشهد، ونقد هذا الوضع اعتماداً على الوقائع والمستجدّات ومتطلّبات العصر والتحدّيات وموازين القوى. كما لا يمكن أن يتحقّق النموّ اللّغويّ الفاعل إلا بالنظر إلى اللّغة العربيّة باعتبارها منظومة فكريّة وتصوريّة، وقضيّة معرفيّة تبنى عليها التّصورات والنظريّات كلّها، ونسقا ذهنياً تنطلق منه الرّؤى والمواقف كلّها، وعملاً لفهم؛ وذلك قصد ترسيخ الوعي اللّغويّ للمتكلّم العربيّ، وتركيز المسألة اللّغويّة في مخيلته، وربط اللّغة العربيّة وقضاياها والنّقاش الدائر حولها بمسألة الهويةّ بمختلف أبعادها وامتداداتها، والتّحسيس بمحوريّة اللّغة في كلّ تنمية ننشدها، وثقافة ننتجها، وبقاء أو استمرار نظمها إليه، أو مصالح

^١ - انظر: أمل يوسف العذبي الصباح، دليل الرسائل الجامعيّة "الماجستير والدكتوراه" للباحثين المعنيين في موضوعاتهم بمنطقة الخليج والجزيرة العربيّة، (الكويت: مركز دراسات الخليج والجزيرة العربيّة، ٢٠٠٦). ودليل والرسائل الجامعيّة ومستخلصاتها من الجامعات العربيّة، مكتبة الجامعة الأردنيّة. وانظر: إدريس واحي، "الازدواجيّة والثنائيّة في الوضع اللّغويّ بالمغرب"، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب في الرباط، المغرب، ١٩٩٢. وأيضاً: أمّنة إبراهيمي، "التخطيط اللّغويّ ووضع اللّغة العربيّة بالمغرب"، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ٢٠٠٣. وأيضاً: محمد نافع العشيري، "المشهد اللّغويّ المغربي: دراسة في ضوء مفهوم الازدواجيات المترابطة"، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيّات، كلية الآداب ظهر المهراز، فاس (المغرب)، ٢٠٠٨. وكذا: محمد الأوراعي، التعدّد اللّغويّ وانعكاساته على النسيج الاجتماعيّ، (الرباط: منشورات كلية الآداب)، سلسلة بحوث ودراسات: رقم: ٣٦، (٢٠٠٢).

نحافظ عليها. إنَّ من شأن نقد الأوضاع اللغوية نقدًا بناءً أن يدفعنا إلى دراسة اللغة العربية في تجلياتها الطبيعية بوصفها ممارسة فعلية حقيقية تفاعلية، أي النظر في اللغة وإلى اللغة من حيث يستعملها المتكلمون بها بوصفها أداة الإنتاج الفكري والثقافي، ومن حيث هي وسيط إنتاج المعرفة، أو من حيث هي تجليات للمعرفة وآلياتها. فالمعرفة بمعناها الواسع تعتمد أساسًا على اللغة، فاللغة لم تعد أداة للتعبير عن الفكر والثقافة فحسب، ولكنها أصبحت كذلك أداة أساسًا في توليد المعرفة، وتطويرها ونشرها، خاصة مع المستجدات المتراكمة لتقنيات العلوم والاتصالات، وبهذا بدأت تزداد بشكل ملحوظ أهمية اللغة كعنصر اقتصادي أساسي. فثقافة المعرفة أصبحت صناعة في حد ذاتها، ومدخلا أساسًا من عناصر الاقتصاد الجديد... ومن خلال ذلك، وبشكل متزايد، أخذت اللغة بعدًا اقتصاديًا جديدًا إلى جانب البعد الثقافي والحضاري الذي كانت تضطلع به دائمًا^(٢).

إنَّ البحث في المسألة اللغوية من هذا المنظور هو بحث في علاقة اللغة بالإنسان، وهو بحث في أصول الفكر، ومرجعيات المفكرين، إنَّه نقد للأوضاع، بل نقد لوصف تلك الأوضاع، لأنَّ كلَّ منظومة لغوية هي انعكاس لمنظومة فكر المتكلمين بها وثقافتهم وتصوراتهم. ولذلك فالمسألة اللغوية من هذه الجهة مسألة إبستمولوجية في نظامها وآليات إنتاجها. ويقول محمد عابد الجابري: "العربي يحب لغته لدرجة التقديس، وهو يعتبرها السلطة التي لها عليه تأثير ليس فقط عن قوتها بل عن قوته أيضا"^(٣). ومن بين ما يستأثر باهتمام المنشغل بهوم العربية في العصر الراهن، مدى قدرتها على تطوير الآليات العلمية وتطويرها لاستخدامها في تقنيات المعلومات والاتصالات، وانخراطها في إنتاج المفاهيم والآليات المعرفة. "فأية لغة لا يمكن أن تكون فاعلة إلا إذا كانت متداولة عبر شبكات المعلومات العالمية، وهذا سيؤدي عمليًا إلى زوال تدريجي للعديد من اللغات التي تعجز عن التطور مع مستلزمات تقنيات المعلومات وشبكاتها. وهذا هو التحدي الأساسي الذي يواجه اللغة العربية حاليًا حتى في إطارها العالمي الإسلامي المنتشر بين أكثر من بليون من البشر"^(٤). ولذلك فحركية اللغة العربية وحيويتها مرتبطة بكيفية تدبير المسألة اللغوية من الدّاخل والخارج، أي البحث عن التوازنات اللغوية التي تجعل اللغة العربية في المركز الذي يُدعم باستثمار الازدواجية والتعددية الاستثمار

^٢ - الشريف حسن، "العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية، في: أسئلة اللغة، (الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ٢٠٠٢)، ص ٤٣.

^٣ - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢)، ص ٧٧. (بتصرف).

^٤ - الشريف حسن، "العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية"، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

الأمثل، ويؤسس للسلم اللغوي المبني على سياسة لغوية واعية وهادفة، وتخطيط لغوي محكم، واستعداد لغوي داخلي وخارجي يجعل العربية لغة المعرفة التكنولوجية، ولغة التنمية.

ويعتمد فحصنا ثم نقدنا للأوضاع على مسألتين أساسيتين: المسألة الأولى هي تعقيدات المشهد اللغوي، والمسألة الثانية هي طريقة وصف هذا المشهد وتحليله، وكيفية التعامل معه.

أ- في تعقيدات المشهد اللغوي في الوطن العربي

يمكن تلخيص ذلك في النقاط التالية:

١- اللغة في الحياة العامة والخاصة؛ أي واقع العربية في المحيط اللغوي العام السائد في الوطن العربي، أو لنقل واقع اللغات (بصبغة الجمع)؛ الفصحى واللهجات العربية؛ واللغات الأجنبية؛ وهو واقع معقد. والسؤال الأول الذي يستأثر باهتمامنا هو حركية اللغة العربية في هذا الواقع وتفاعلها معه، وتأثير الانتصار للغة ما، أو تغليبها على العربي؛ أو التدخل بوجه من الوجوه لتغيير هذا الواقع أو التأثير فيه وزعزعته، أو توجيهه لتحقيق مصالح آنية، أو مستقبلية غير مصالح العربية ومصالح متكلميها ومستعمليها، وعليه عرقلة كل أسباب التنمية وتعطيل وسائلها. أما السؤال الثاني الذي يشغل الناظر في هذا الواقع، فهو الاختلالات التي تطبع هذا الوضع، أو ما أصبح يصطلح عليه بـ"أزمة اللغة"، أو "محنة اللغة"، والجهد والوقت اللذان استنفذا في معالجتها، والنتائج المتواضعة التي تحققت في ذلك. فالمسألة اللغوية "متسمة بضعف الإتيان، وانعدام التماسك، وعدم استقرار التوازن بين الرغبة في تعزيز الهوية، وضرورة الانفتاح، مما حال دون أن تلعب اللغة دورها الهام كأداة أساس لاكتساب المعارف والمهارات، وتوسيع الآفاق الفكرية للمتعلم، وإقداره على التواصل"^٥. ومن ثم استحالة تحقيق تنمية شاملة تضمن للمجتمعات العربية الكرامة والعيش الكريم.

لا يمكن لأحد أن ينكر التطور الذي شهدته العربية في استعمالها، أو ينكر انتشارها الواسع وتداولها الكبير في الحياة العامة؛ في الإعلام والاقتصاد والسياسة والتعليم؛ ولا يمكنه على أي حال من الأحوال أن يغيب ما حققته الدراسات اللسانية - وما جرى مجراها - من نتائج على مستوى تهيو المتن؛ أو ما عرفته العربية على مستوى التنظيم والتشريع اللغوي، وتقنين المجال... إلخ. وهو في اعتقادنا أمر طبيعي، بل يجب أن يدعم على المستوى الرسمي، ويقوى على المستوى الشعبي. غير أنه، ومن حيث الممارسة اللغوية؛

^٥ - عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة، (بيروت: دار الكتاب الجديدة، ٢٠١٠)، ص ١٥.

وتوظيف اللغة العربية في الحياة العامة، يلاحظ المنتبِع للشأن اللغوي ما يشبه الفوضى اللغوية، ويبرز ذلك في ازدواجية اللغوية في صورتها القاتمة والمجهولة المصير، وذلك بتوظيفها توظيفاً يحاول إضعاف الفصحى بتبني سياسة نشر العاميات وإحلالها محلّ الفصحى في التعليم والإعلام والثقافة... إلخ. كما يتّضح في التعدّد اللغويّ في صورته غير الإيجابية، حيث لا يرقى إلى مستوى التعدّد المثري^(٦)، ولا يصل إلى مستوى التعايش اللغويّ الذي لا تهيمن فيه لغة "قويّة" على لغة "مستضعفة"، ولا يمكن من الحصول على الكفاية اللغوية المستقرّة والمثالية، ولا على تناوب لغويّ سليم ومتكافئ.

إنّ اللغة العربية "لغة قويّة ونسقيّة يمكنها أن تصبح أكثر وظيفيّة وعالمية، وهذا رهين بإنصافها، وثبيت مشروعيتها ورسميتها، عبر تمكينها في محيطها وتعميمها، ودعم دورها في التربية والتكوين، من خلال تهيؤ العوامل النفسية والبيئية حتّى تتمكن من النجاح في اكتسابها كلغة رسمية مع تعلّم موقّق ومترن للغات أجنبية. وهذا يتطلب تنسيقاً على مستوى عربيّ، لإقامة برامج وسياسات لغوية فاعلة، من شأنها ترسيخ استعمال اللغة العربية، والتصدي لكل أشكال التشكيك في قدرتها، أو طمس وظيفتها"^(٧).

٢- التفاعل اللغويّ، أو احتكاك اللغات وتداخلها، حيث يتميّر الوضع اللغويّ في الوطن العربيّ بتنافس لغويّ معن أحياناً، ومستتر أحياناً أخرى. فإذا كانت "الازدواجية هي استخدام فرد أو جماعة مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أو التناقص بين لغة أدبية مكتوبة، ولغة عامية شائعة في الاستعمال اللغوي"^(٨)، فإنّ الازدواجية اللغوية على الحال التي هي عليه يُجنح بها إلى أن تكون ازدواجية معرّقة لتطور الفصحى، أو "قاتلة" لها^(٩). لأنّها من قبيل الازدواجية اللغوية غير المتكافئة، وغير النسقية، حيث الخلط عمداً بين "النوع العالي الرفيع (High variety)"، و"الدوني السفلي (Low variety)"، والخلط قصداً بين الممّعير وغير الممّعير؛ وحيث الخلط بين لغة التواصل المكتوب، ولغة الأدب والعلم والقانون والاقتصاد والإعلام والسياسة والإدارة والثقافة في مستوى عالٍ ورفيع وراقٍ وأنيق ومنطقيّ من جهة، وبين اللغة المستعملة في أمور عادية

^٦ - انظر: محمد الرامي، "أنماط السياسات اللغوية والوضع اللغوي بالمغرب"، في: عبد القادر الفاسي الفهري (مشرف)، لغة الحق ولغة القانون، الجزء ٣، (الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ٢٠٠٤)، ص ٤٠٧.

^٧ - أمينة اليملاحي، "اللغة العربية بين التعدد والرسمية"، في: عبد القادر الفاسي الفهري (مشرف)، لغة الحق ولغة القانون، الجزء ١، (الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ٢٠٠٤)، ص ١٩٣.

^٨ - عبد الرحمان بن فراج القحطاني، "أثر المجتمع والأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى والعامية"، في: بحوث ندوة "ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية"، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية في الرياض، ١٩٩٧. المجلد الأول، ص ٨١.

^٩ - ينظر بعض الغربيين ومن تعلق بهم إلى الازدواجية في الوطن العربي بالطريقة التي ينظرون بها إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية المتفرعة عنها، وهو قياس مغلوط، وإسقاط وذريعة للنبيل من اللغة العربية وإضعافها.

معتادة مألوفة ترتبط بالحياة اليومية وتفاصيلها الحسية البسيطة^(١٠)، و"المعاني الساذجة العامية المتعارفة والمبتذلة"^(١١) من جهة أخرى. وهو في الحقيقة خلط في الوظائف، أو تعطيل لها، وتشويش على البيئة اللغوية، وإخلال بتوازنها. إنَّ للغات المحلية أدوارًا ترتبط باليومي والمحلي والذاتي الخصوصي العفوي، وبالاندماج الضيق الجهوي أو الإقليمي، وهي أدوار لا ترقى إلى تحقيق الانسجام الاجتماعي، والتثقيف الوطني، والتعامل المؤسساتي، والاستعمال الفوقي، والتداول القومي، والتواصل الدولي، فكل نمط لغوي يؤدي وظائف توكل إليه. كما أنَّ الترويج للمقولات الزائفة، كعدم قدرة العربية على التعبير عن مضامين الحداثة^(١٢) وروح العصر، وأنها لغة غير علمية، ولا تستطيع أن تكون لغة العلم والتكنولوجيا والاقتصاد والإدارة والتدبير والسياسة، هو في الآن نفسه إعلاء لشأن اللغات المرجح أن تحل محلها.

أما التعددية اللغوية فهي تعددية غير مهيكلة، وغير مؤسّسة، وغير طبيعية، تعددية في ظاهرها، أحادية في مقاصدها. لقد تخلّت اللغات الأجنبية عن وظائفها الموكلة إليها المتمثلة في الانفتاح والتثاقف والتّحاور والتسامح، وما إلى ذلك من أشكال التفاعل، وصيغ التشارك بين الأمم والشعوب والحضارات، فإذا كان التعدد يهدف إلى الإغناء، والدفع إلى التعدد الثقافي والمساواة بين الثقافات والشعوب ومشروعيتها، والمحافظة على العادات والقيم الإيجابية فيها، وتغذية الفروق التي من شأنها رفع حظوظ الجماعات الأثنية في الحضور الثقافي؛ فإنه ينبغي ألا يكون عائقًا في وجه الانسجام الوطني، والارتباط باللغة الوطنية الرسمية، وعودة بها إلى التراجع والتقهقر، وتسريب الهيمنة الأجنبية عبر مفهوم إيجابي^(١٣).

لقد استفادت اللغات الأجنبية من هذا الوضع، واستقوت لتكرس الهيمنة اللغوية، والاحتكار اللغوي، بسوء تدبير التعدد اللغوي الذي زاغ عن هدفه المتمثل في خدمة البلدان العربية بطريقة إيجابية^(١٤). وتفصح مظاهر هذا الحراك اللغوي وتجلياته عن نفسها في البرامج الدراسية، وفي جميع المؤسسات والقطاعات، وفي ميادين الإعلام والاقتصاد والسياسة. "إنَّ التشكيك في اللغة العربية واحتقارها، كانا مدخلا واسعًا إلى التشكيك

^{١٠} انظر: ثريا خربوش، "الازدواجية اللغوية: خصائص ومحددات"، فكر: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد ٧، السنة ٣- (٢٠٠٥)، ص ٩٦.
^{١١} عبد القدوس أبو صالح، "ازدواج اللغة العربية في المدارس والجامعات"، في: بحوث ندوة "ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية"، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية في الرياض، (١٩٩٧)، المجلد الأول، ص ١٠٩.
^{١٢} هذا الإشكال له أصول قديمة، ثم أصول استشرافية موجهة، ثم حمل في العصر الحديث لواء هذه الدعوة مجموعة من الباحثين نذكر منهم لويس عوض (وهو أشهر من ألف بالعامية)، ومحمد حسين هيكل وأمين الخولي وتوفيق الحكيم ولطفي السيد وعبد العزيز فهمي وسعيد عقل. وهو يوظف بشكل آخر الآن.
^{١٣} عبد القادر الفاسي الفهري، "اكتساب اللغة العربية والتعليم اللغوي المتعدد"، أبحاث لسانية، المجلد ٤/ العدد ١-٢، (١٩٩٩)، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرياض، ص ٢٤، ٢٥.
^{١٤} انظر: أمينة اليملاحي، "اللغة العربية بين التعدد والرسمية"، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥.

في الهوية^(١٥). والقبول بسيادة لغة أجنبية، أو نيابتها عن العربية في تأدية وظائفها، هو تنازل عن مقومات الهوية. لأيّ دولة أو أمّة الحقّ في الدفاع عن لغتها، ولكن ليس لأحد الحقّ في أن يفرض طوعاً أو كرهاً لغته على شعوب أو أممٍ أخرى لها لغاتها^(١٦).

٣- وسائل ووسائل تصريف هذا الحراك من إعلام ومدرسة ومنشورات وأنشطة ثقافية واجتماعية. إنّ التأمّل في الشأن اللغويّ في الوطن العربيّ يوصل إلى إدراك نوع من التطوّر غير الطبيعيّ لهذه الوسائل والوسائل، وهو تطوّر يعكس الوضع غير الطبيعيّ للمشهد السابق، فلم أصبحت تنتشر الجرائد باللّغة العامية في البلدان العربية كلّها؟ فالذي يقرأ الصّحيفة بالعاميّة هو نفسه القارئ لها بالعربيّة، والذي يستمع إلى خطبة الجمعة بالفصحى هو نفسه المتلقّي لها بالعاميّة. بل لا يستطيع المحلّل للوضع إيجاد أسبابٍ علميّة حقيقية تبرّر أن تُقدّم محاضرة في النقد الأدبيّ، أو في علم أصول الفقه، أو تاريخ الإسلام، بالعاميّة؟ كما لا يستطيع تفسير الدّعم الأجنبيّ للقنوات والإذاعات التي تقدّم برامجها بالعاميّة، وتصرف إنتاجها باللّغة الأجنبية على نطاقٍ واسع؛ من لغة الإشهار (الإعلان) إلى لغة الأفلام الوثائقيّة والرياضيّة. فعلى الرّغم من أنّ مرجعيّة بعض أنواع الخطاب الموجّهة إلى الجمهور؛ الخطاب الدينيّ، والخطاب السياسيّ، والخطاب الإعلاميّ؛ مرجعيّة شفاهيّة، فإنّ الخطابات عندما تكتب تُرقي إلى درجة اللّغة المكتوبة الرّاقية. "إنّ حقيقة اللّغة العربيّة الفصحى.. تكمن في كونها لغة مكتوبة (الأدب، العلم، الفنّ)، وقليلًا ما توظّف في المجال المنطوق. لكن هذا لا يعني من أن تظلّ الكتابة فعل كلامٍ خاضعًا لموصفاتٍ صارمة ترقى إلى مستوى القواعد (نحو، صرف، تركيب، معجم)، كما أنّ الكلام - وهنا وجه التّدخل بين الشفهيّ والمكتوب - يصبح أحياناً فعل كتابة لدى المشتغلين بالكتابة حين يتكلمون (المتفقون حين يتحدّثون عبر الراديو والتلفزيون)"^(١٧). إنّ الوظائف تؤدّي حتمًا إلى اختلاف طبيعة اللّغة. ولا يمكن أن تقوم العاميّة بوظيفة الفصحى.

أمّا على المستوى العالميّ، فهناك تنافس شديد بين اللّغات^(١٨)، وسباقٌ محموم لتعلّم الإنجليزية على امتداد العالم العربيّ^(١٩). ونقدّم في هذا الصّدّد نموذجين خاصّين بالمغرب والجزائر، يمكن تعميمهما على

^{١٥} - عبد العالي الودغيري، اللّغة والدين والهوية، (الدار البيضاء -المغرب: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٠)، ص ٧.

^{١٦} - انظر: عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغويّ، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١١)، ص ١٠٢.

^{١٧} - عبد الوهاب الرامي، "عربية الصحافة المكتوبة: من وهم التوحيد إلى شرط التعدد"، في: عربية الصحافة، (الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ١٩٩٨)، ص ١٣٩، ١٤٠.

^{١٨} - لم يعد التنافس اللغوي حكرًا على العربية واللغات الأجنبية وإنما احتدم بين اللغات الأجنبية في البيئة العربية، إذ لا تريد الفرنسية أن تتنازل للإنجليزية عن الإدارة والاقتصاد والمعاملات في بعض الدول، ولا تسمح الإنجليزية للفرنسية أن تدخل إلى دول أخرى، أو قطاعات تحتكرها هي.

^{١٩} - يقول محمد راجي الزغول: "لقد كان اختيار الإنجليزية، أو الفرنسية للاستخدام مرتبطًا بالمستعمّر السابق، لكن الحال قد تغيّرت، وبدأت عوامل جديدة تتحكم في الاختيار، وأبرزها استخدام لغة السلطة، والسلطة النسيبة للغة. ففي المغرب بدايات تحوّل من الفرنسية إلى الإنجليزية للعوامل سابقة

دول أخرى، يبرزان حدة هذا السباق، "فإلى عهد قريب لم يكن أحد يتصور في المغرب أن اللغة الإنجليزية ستشق طريقها بسرعة مذهلة في بلد فرنكفوني سيطرت فيه الفرنسية على كل مناحي الحياة لعدة سنوات. فالسباق المحموم في أوساط الطلاب المغاربة نحو تعلم الإنجليزية بدأ وكأنه سباق نحو امتلاك مفاتيح اللغة التي تهيمن على تكنولوجيا العصر.. إن عدد مدرسي اللغة الإنجليزية أصبح يوازي عدد مدرسي اللغة العربية، ويزيد عددهم بكثير عن مدرسي لغات أخرى كالإسبانية والألمانية والإيطالية، وعدد مدرسي اللغة الفرنسية لا يزيد إلا قليلا عن مدرسي اللغة الإنجليزية. كما تشهد معاهد اللغات إقبالا كبيرا للمغاربة من مختلف الأعمار ذكورا وإناثا. وفي السياق ذاته، انطلقت منذ العام الدراسي المنصرم دروس لتعليم الإنجليزية داخل المدارس الثانوية في المغرب تحت إشراف برنامج "فولبرايت" الأميركي للتبادل الثقافي بمشاركة عدد من المدرسين الأميركيين"^(٢٠). وفي الجزائر، "طرح بديل اللغة الإنجليزية على أساس أن الفرنسية كانت في المنظومة التربوية اللغة الأجنبية الأولى إلى غاية الثمانينيات [من القرن الماضي]، وبعد تعميم المدرسة الأساسية أصبحت اللغة الثانية بعد الإنجليزية"^(٢١). وفي بلدان عربية عدة، لم يُعرب التعليم العالي في الشعب العلمي والتقني. فكيف يُفسر إذن هذا التحول بهذه الطريقة، وفي هذا الزمن القياسي؟ وكيف تغيرت الخريطة اللغوية؟

من مظاهر هذه الوسائط ما يلاحظ من دعم منظم ومؤسس للغات الأجنبية في البلدان العربية، في التعليم والاقتصاد والإعلام وفي غير ذلك من القطاعات الحيوية حيث لم يعد الأمر يقتصر على تعليم الإنجليزية أو الفرنسية باعتبارهما "اللغة الثانية"، أو "اللغة الأجنبية"، وإنما باعتبارهما أقوى من ذلك. كما ظهر في السنين الأخيرة نوع من الميل إلى الألمانية والصينية والإسبانية ليساهم ذلك في حدة المنافسة. ويساهم الدعم السخي، والتحفيز الكبير المادي والمعنوي؛ من منح الدراسة، ونشر للمؤلفين، وإغراق السوق العربية بالمنشورات الورقية والرقمية، المكتوبة والمسموعة؛ في نشر تلك اللغات وتداولها.

أ-٤- تأثير ذلك كله في اللغة العربية، وفي الخريطة اللغوية، أي تأثير التنافس اللغوي في العربية في راهنها، وفي المستقبل القريب والبعيد. لقد كثر الحديث في السنين الأخيرة عن "الخيبة اللغوية"، و"الفجوة

الذكر، في حين يزداد الاستخدام اللغوي للإنجليزية في المشرق للعوامل ذاتها". ("لغة القوة وقوة اللغة في التعليم العالي في العالم العربي: الصراعات والهيمنة والتحول في الاستخدام"، اللسان العربي، العدد ٥٨، ٢٠٠٤، ص ٧٢.

^{٢٠} - عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، مرجع سبق ذكره، ص ٦٤.

^{٢١} - صالح بلعيد، "قرار تعميم اللغة العربية واستعمالها، رأي في التجربة الجزائرية، اللسان العربي، العدد ٤٦، (١٩٩٨)، ص ٢٤١.

اللسانية، و"الفقر اللغوي"، و"انعدام الأمن اللغوي"، و"العدمية اللغوية"، و"الشرخ اللغوي"^(٢٢)، وهي كلها مفاهيم ترتبط بما وصل إليه الوضع المتأزم من نتائج على المستوى اللغوي. ونتيجة لذلك، تعالت الصيحات في الوطن العربي معلنة عن الضعف اللغوي؛ وتراجع العربية، وعقدت المؤتمرات العلمية المتعددة في كل أنحاء الوطن العربي، وعلى مستويات مختلفة؛ مؤشرة على استشعار المشكل، كما أن تفشي الخلط بين نسقين؛ نسق الفصحى ونسق العامية في المعجم والنحو، أو نسق العربية ونسق الإنجليزية^(٢٣) والفرنسية وظهر لغة هجينة، يعدّ مظهرًا من مظاهر الأزمة. لقد تجاوز الأمر مسألة ما يُعرف بتفاعل اللغات، وأصبحت اللغات الأجنبية وسيلة للرقى الاجتماعي، وشرط الرقي السياسي والاقتصادي، وأضحت لغات التنمية.

ب- واقع وصف المشهد اللغوي: من الوصف إلى التفسير

يمكن إجمال مسألة الوصف والتفسير في المحاور الأساسية الموالية، حيث يكون التفسير نوعًا من أنواع النقد المتجدد للوصف المحايد الذي ينبغي ألا يكون هدفًا في حد ذاته، بل مقدّمة للحلول، بإعادة استثمار التراث الغني، والإرث اللغوي.. والمؤهلات الذاتية والموضوعية للعربية، واستثمار النظر العقلي في اللغة، وإلى اللغة في التطبيق والفعل.

أما بخصوص الوصف، فإنه ينبني على أمرين اثنين:

١- يتسم التعامل مع المسألة اللغوية في بعدها العام من الناحية العلمية كذلك بنوع من الحركية، سواء على المستوى المؤسّساتي أو المستوى الفردي، وسواء على المستوى الرّسمي أو على المستوى غير الرّسمي. ولذلك، فواقع الوصف اللغوي، وما يرتبط بالنقاش اللغوي السائد، أو ما يسمّى بـ "الصراع اللغوي". وواقع الاختيارات اللغوية، والسياسة اللغوية، والممارسة اللغوية يفرض علينا دراسته في مستويين مستقلّين:

المستوى الأول: هو المستوى الأكاديمي والعلمي المؤسّس والمؤسّساتي الحكيم والمتحكّم، حيث يجب

أن تكون له الكلمة الفصل في المسألة اللغوية، لأنه هو المؤهل علميًا وعمليًا للبت في المعضلة اللغوية. وهو

^{٢٢} - انظر: عبد المجيد جحفة، "المسألة اللغوية في تقرير الخمسينية"، بصمات مجلة كلية الآداب في الرباط، العدد ٤، (٢٠٠٩)، ص ١٠٥.
^{٢٣} - انظر: وليد أحمد العناتي، "العولمة اللغوية: التداول بالإنجليزية في العالم العربي، مثل من الأردن"، في: اللغة العربية وتحديات العصر، (عمان: منشورات جامعة البترا الخاصة)، ص ١٢١. يقول العناتي: "ثم عرّج البحث على وجوه التداول بالإنجليزية في حياة الأردنيين اليومية، ما أسهم في تشويه نقائه اللغوي، وخصوصيته الثقافية والدينية.. فهذه الأوضاع اللغوية ليست قاصرة على الأردن وحده، بل إنها تسود المجتمعات العربية كلها، مما ينقل المسألة من المحلية إلى الإقليمية والقومية. فتصير هذه الأوضاع تهديدًا صارخًا للدين والثقافة واللغة القومية"، المصدر نفسه، ص ١٤٨.

القادر على القضاء على الفوضى اللغوية، إنّ اللغة مؤسّسة مثلها مثل باقي المؤسسات التي تستوجب الرعاية والاحترام، والعدّة والعتاد. ولا يقلّ الأمن اللغويّ أهميّة عن الأمن العامّ.

المستوى الثاني: وهو المستوى العامّ، والغالب عليه وصف المتأدّبين والمتسيّسين، وقد تحاول احتكاره أوساط فكريّة وثقافيّة واجتماعيّة واقتصاديّة ونخبويّة تصدر الحقوق اللغويّة، وتنتدب نفسها مؤسّسة للإفتاء اللغويّ، أو هيئةً للتّحكيم اللغويّ^(٢٤)؛ وهي بذلك لا تخدم اللغة، ولا تسعى إلى إنمائها، أو تنمية المجتمعات المتكلّمة بها.

يشوّش الخلط بين هذين المستويين على الفهم الحقيقيّ للواقع اللغويّ، وطبيعة اللغة ووظيفتها، ويشغل الناس عن البحث في سبل تطوير اللغة وتوظيفها في التنمية. وفي كلّ الأحوال، لا ينبغي أن يُترك لمن لا يفقه أصول المسألة اللغويّة؛ أو لمن تسكنه لغة أخرى غير العربيّة، أو لمن لا يعتقد في إمكانيّات العربيّة، ولا يؤمن بقدراتها؛ أن يُنظر للوضع اللغويّ في الوطن العربيّ.

٢ - استثمار التراكمات والمؤهلات الذاتية والموضوعيّة للغة العربيّة

المقصود هنا بالمؤهلات الذاتية للغة العربيّة أمران:

الأمر الأوّل: جملة الحقائق المرتبطة بالعربيّة، أو جملة المميّزات والخاصيّات المتّصلة بها؛ من كونها لغة رسميّة للكثير من الدّول والمنظّمات الدوليّة، ولغة تراث حضاريّ، وإرث إنسانيّ زاخر، وناقلة لتجارب حضاريّة متميّزة، ولغة لكثير من الشّعوب والأجناس والأعراق، واللغة التي يتداولها اليوم ما يقرب من ثلاث مئة مليون متكلّم بها، ويستعملها عددٌ كبير من الناس لأغراض دينيّة أو اقتصاديّة أو سياسيّة أو ثقافيّة. وهي لغة لوسائل الإعلام بجميع أنواعها، وللتدريس والتّعليم، والقضاء والاقتصاد. ولغة تراث علميّ وفكريّ وأدبيّ وحضاريّ لم ينشر منه إلا القليل.

وفوق هذا وذاك، فهي لغة القرآن الكريم الذي ضمن لها الانتشار الواسع، وضمن لها استمرارها وقوتها وعطاءها وفعلها. ولغة أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، واللغة التي ترجمت بها أفعاله. وفهم

^{٢٤} - من مظاهر هذا الوصف ما ينشر على أعمدة الصحافة، انظر مقال: "الازدواجية اللغوية في المغرب: ملاحظات على مؤتمر جمعية "زاكرة" للتربية"، جريدة المساء (المغربيّة)، العدد ١٣٧٣، الاثنيين ٢٠١١-٢٠١٢. وانظر: - محمد برادة، "الطاهر بن جلون يشنّكي من وطأة تقديس اللغة"، جريدة الاتحاد الاشتراكي (المغرب)، العدد: ٢٠٠٦/٨١٩٨، ٢٠٠٦/٣/١٣. وانظر: - سعيد يقطين، "بصدد اللغة العربية والدستور"، جريدة الصباح (المغرب)، العدد ٣٤٤٠، ٢٠١١/٠٥/٠٤.

القرآن متوقّف على العلم بالعربية، وهو بعدُ يستشعره المؤمنون، ويعملون على تفعيله. وهذه العوامل مجتمعة، وعوامل أخرى يصعب حصرها في مثل هذا العمل، تعدّ في حقيقة الأمر مصدر قوة للغة العربية، وعاملاً حاسماً في التنمية، يعاضد العامل الديني والديموغرافي والاقتصادي والعسكري والثقافي والسياسي واللساني. إنّ "اللغة العربية - بلا شك - هي أبرز ملامح ثقافتنا العربية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بالهوية. وهي اللغة الإنسانية التي صمدت سبعة عشر (١٧) قرناً، سجلاً أميناً لحضارة أمّتنا في ازدهارها وانتكاساتها، وشاهدها على إبداع أبنائها وهم يقودون ركب الحضارة، قادرة على أن تفعل فعلها وتقول كلمة الحسم في المسألة التنموية^(٢٥).

ب- الأمر الثاني: ويرتبط بما قرره العلماء في شأن اللغة العربية^(٢٦)، سواء تعلّق الأمر بالحقائق العلمية القطعية، أو بالحقائق النسبية، حيث يمكن أن يكون ما قيل في العربية من كلام؛ في جانبه العلمي الصّرف، وفي جانبه الاجتهاديّ أو التأملّي؛ مساعداً على خدمة العربية، وخاصة ما تضمّنته كتب فقه اللغة وأصول الفقه من أبواب في تمجيد اللغة، ووصف العربية، أو منزلة العربية، أو مراتب العلوم. غير أنّ ما يحتاج إلى زيادة تمحيص؛ وفائق رعاية، وكامل اهتمام اليوم؛ هو خاصية النسيئة، والمرونة في الأتمتة، والاستجابة للتقنيات المعلوماتية وهندسة اللغة. إنّ اللغة العربية لغة "كسائر اللغات الطبيعية تشترك معها في عدد من الخصائص الصوتية والتركيبية والدلالية، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات، وبصفتها عربية تختصّ بمجموعة من الخصائص التي لا توجد في كلّ اللغات، وإنّما توجد في بعض اللغات"^(٢٧). بل إنّ دراسة الجانب التصريفيّ في بعده الجبري، والجانب التركيبيّ في بعده الخطّي والشجري، بالإضافة إلى الجانب الدلاليّ في بعده المبنيّ على السّمات، واستثمار ما تتطوي عليه المداخل المعجمية من شروح وتفسيراتٍ وتعليقات، قد تسهم في الدّفع باللغة لمسايرة الطّفرة التكنولوجية. وقد قدّمت اللسانيات الحاسوبية^(٢٨) دعماً جديداً للغة العربية، سواء تعلّق الأمر بالجانب النظري، أو الجانب التطبيقي المرتبط ببرامج بناء قواعد البيانات واستغلالها، أو بأنظمة بنوك المعلومات، أو في تقنيات المعلومات، أو بناء أنظمة التحليل الآلي

^{٢٥} - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، (الكويت: عالم الكتب، ٢٠٠١)، ص ٢٦٥.

^{٢٦} - انظر: روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، لابن الأزرق الغرناطي. وانظر: الموافقات، للشاطبي.

^{٢٧} - الفاسي الفهري، "الفرنكوفونية في المغرب: من يخاصم من؟!"، التعريب (يصدرها معهد الدراسات والأبحاث للتعريب)، العدد ١٣، (٢٠٠٢)، ص ٣١.

^{٢٨} - انظر: السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنيات المعلومات، (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة) سلسلة الأعمال المحكمة رقم ٤، ١٩٩٢.

- و انظر: "المعالجة الآلية للغة العربية: وقائع الندوة الدولية (CITAL'07)"، حزيران/ يونيو ٢٠٠٧، (الرباط: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. وانظر أيضاً: (CITALA'09)، أيار/ مايو 2009.

للغة، أو في تعليم اللغة العربية. كما أن للأبحاث اللسانية المتطورة دوراً أساساً في تطوير أدوات استخدام العربية في الشبكة (الإنترنت)، "إنه لا أحد يجادل في كون هذه التقنيات المعلوماتية تعتبر اليوم نوعاً من المنعطف الثقافي والتكنولوجي الذي تحياه أغلب المجتمعات الحديثة. بل إنها تشكل تحدياً يواجه مجموع اللغات المكتوبة، وبالتالي كل الثقافات وكل الممارسات، بحيث يكون رفع مثل هذا التحدي هو الاختيار الوحيد أمام أية لغة، وأية ثقافة وممارسة تريد أن تستمر في البقاء وتزدهر"^(٢٩).

٣- تنمية اللغة باب التنمية الشاملة

لقد أن الأوان في اعتقادنا - وبعد أن تحقق ما تحقق من التراكم المعرفي في الموضوع - أن نتجاوز مرحلة الوصف والتحليل إلى مرحلة التفسير لعنا نخرج باستنتاجات تجعل اللغة العربية في مأمن آمن تستطيع به ضمان بقائها؛ واستمرار عطائها، وإسهامها في التطور الحضاري، وفعلها في التجربة الإنسانية والمعرفية والكونية. لقد تحقق في هذا المجال من الدراسات ومن الأبحاث الأكاديمية^(٣٠) والتربوية والسوسيو-ثقافية ما يدفع إلى التأمل والنظر للربط بين اللغة وآليات التفكير وتفاعلها من جهة، ووسائل إنتاج المعرفة، بل المعرفة ذاتها من جهة أخرى. فربط الفروع بالأصول؛ وتجريد القضايا، واستخلاص النتائج؛ يجعل الدارس يقف على حقيقة اللغة وتفاعلها مع محيطها العربي الخاص والعالمي العام. يقول محمد القبلي: "من جملة ما يلفت نظر المتتبع للإنتاج العلمي بمختلف جامعاتنا أن المشهد اللغوي القائم اليوم بيننا قد دفع بالكثير من اللسانيين المغاربة وغير المغاربة إلى اقتحام هذا الخضم عبر قنوات متباينة تكاد تلتقي جميعاً عند الرغبة في فكّ الخيوط، وتشخيص ميكنزمات التفاعل دون إغفال عنصر الرهانات المتشابكة، والتوجهات المختلفة فيما يستقبل من الظروف"^(٣١).

إنّ تنمية اللغة تكمن في عدم الفصل بين النظر العقلي والتنظير والفعل والممارسة، حيث يصبح الربط بين اللغة والثقافة والتقنيات الحديثة والتطور الحضاري والتنمية أمراً سلساً وضرورياً، فلا يمكن التعبير عن الأدوات التقنية إلا بلغة مؤهلة محوسبة^(٣٢) (قابلة للتأرقم (Dignitisation)) قادرة على استيعاب المعلومات والمحافظة على مضمونها. "وقد صممت أدوات المعالجة الآلية للغة العربية لتسهيل الولوج إلى هذه

^{٢٩} - اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة: أعمال المناظرة. المؤتمر الدولي. مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية. الدار البيضاء. المغرب. ١٩٩٣. (مقدمة).

^{٣٠} - سبقت الإشارة إلى بعض الأبحاث في الموضوع. وانظر: قائمة المصادر والمراجع.

^{٣١} - محمد القبلي: "حول جذور الوضع اللغوي بالمغرب" في: بصمات. مجلة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك. الدار البيضاء. المغرب. ع ٤-٢٠٠٩. ص ٧٣.

^{٣٢} - حسن الشريف: العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية في: أسئلة اللغة. ص ٥٣.

المعلومات والخدمات باللغة الأم^(٣٣). إنَّ "مجتمع ما بعد الصناعة"، أو "مجتمع ما بعد الحداثة"، أو "مجتمع المعلومات" و"مجتمع المعرفة" يفرض إعادة النَّظر في طبيعة المعرفة وآليات إنتاجها وتواصلها داخل المجتمع على إثر انتشار الكمبيوتر ونظم المعلومات^(٣٤)، ولا يمكن لأيِّ لغة أو ثقافة أو ممارسة فكرية أن تجد لنفسها مكاناً في هذا العالم، أو رواجاً في أبحاثه، أو استمراراً، إذا بقيت خارج ما يفرضه العصر الحديث من التقنيات المعلوماتية والتكنولوجية. إنَّ الانفجار المعرفي؛ وتدقُّق المعلومات، وانتشار التقنيات؛ كلُّ ذلك أدَّى إلى قوَّة الإحساس بضرورة انتشار اللغة العربية وتداولها وتمكينها في محيطها، وضرورة العمل على تطوير أدائها، وتعزيز مكانتها. فلا تنمية من دون إنتاج للمعرفة، ولا معرفة من دون لغةٍ أداة للمعرفة. ولذلك ينبغي استثمار المؤهلات الذاتية والموضوعية للغة العربية في ظلِّ المعطى التاريخي والواقعي. بل يجب استثمار كلِّ الأبعاد الفاعلة في تطوير اللغة، واستغلال مؤهلاتها، سواء تعلَّق الأمر بقوَّة عدد المتكلمين بها، لأنَّ "اللغات تستمدُّ وجودها الفعلي من المتحدثين بها، الذين يعتقدون في أهميتها ويستخدمونها للتعبير عن أفكارهم وآرائهم"^(٣٥)، أو بوزنها الاقتصادي، أو بجاذبيتها المعرفية المرنة، أو بنفوذها العلمي والثقافي، أو بسلطتها الرمزية والتاريخية.

إنَّ الحديث عن اللغة العربية في السياق الذي ذكرناه، والخوض في المسائل التي أشرنا إليها، ليس من باب الفضول العلمي، أو الترفُّ الفكري، وإنَّما هو نظر وتأمُّل في مدى مواكبة العربية لمستجدات العصر، وتطوُّر العلم، والانخراط في الركب الحضاري، والمساهمة في الطفرة العلمية والإعلامية، وإغناء تدقُّق المعلومات وتصريفها، ومسايرة اللغات العالمية. فما يعرفه العالم من تطوُّرات متلاحقة، ومتغيِّرات متسارعة، وتقلُّبات حثيثة إعلامياً وعلمياً ومعرفياً، لم يكن ليحصل خارج اللغة. "إنَّ ملكة الترميز عند الإنسان تبلغ أقصى تحقُّقها في اللغة التي هي التعبير الرمزيِّ بامتياز. وكلُّ أنظمة التواصل الأخرى الخطية منها والحركية والبصرية، إلخ..، تنفرِّع عنها وتفترضها مسبقاً"^(٣٦)، ولأنَّ "النظام الجديد في كونيته الثقافية تلك لا بدَّ له أن يتضمَّن مشروعاً لغوياً بلا أيِّ تشكيل وفي غير ارتياب. فاللغة هي الحامل الأكبر للمنتج الثقافي، وهي الجسر الأعظم للمسوق الإعلامي، وهي السيف الأمضى في الاختراق النفسي، وعليها مدار كلِّ تسلُّل

^{٣٣} - وقائع الندوة الثالثة الدولية حول المعالجة الآلية للغة العربية. (٢٤ ماي ٢٠٠٩) المدرسة المحمدية للمهندسين الرباط المغرب. مقدمة.

^{٣٤} - نبيل علي: العرب وعصر المعلومات. عالم المعرفة ١٨٤ / ١٤١٤هـ / ٢٠٠٠م. الكويت.

^{٣٥} - لويس جون كالفيه: إيكولوجيا لغات العالم. ترجمة: باتسي جمال الدين. منشورات الاختلاف. الجزائر. ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ص. ٢١.

^{٣٦} - E. BENVINISTE (1966): Problèmes de linguistique générale, 1. Ed, Gallimard, 1966/ p28

ترجمة: محمد سيلا وعبد السلام بن عبد العالي. دفاतर فلسفية: اللغة، ص ٤١، ٤٢.

أيدولوجي أو اندساس حضاري^(٣٧). وهذا ما يجعل اللغة العربية في حراكٍ مستمرٍ، ويضعها على محكٍ حقيقيٍّ، وضمن حوارٍ خلاقٍ؛ فهل هي قادرة حقًا على التفاعل والانفعال والفعل في ذلك؟ وحقيقة الأمر أنّ هذا التساؤل تساؤل مرتبط بإشكالٍ قديمٍ وجديدٍ في الآن نفسه؛ قديمٍ لأنه مرتبط بماهية اللغة، وهوية متكلميها؛ وجديدٍ لأنه مرتبط بواقعها ومستقبلها، ورصد آفاقها^(٣٨). فالطريق الأنجع لإنماء اللغة العربية، وتطوير طرق أدائها في نقل المعرفة، أو إنتاج المعرفة، هو تنميتها، وسبيل التنمية الشاملة هو تنمية اللغة.

الخاتمة

إنّ التنمية اللغوية هي الضمان الأساس للحماية الاجتماعية والسلم الاجتماعي، وهي الطريق السليم للتفرغ للفعل التنموي، فعندما يشعر المواطن العربي أنّ لغته في مأمن، وهويته في أمان، وحقوقه في الحفظ، وكرامته في الصون، يشعر بحسّ الانتماء وقوته، ودفء الوعي بمسؤولية الواجبات. فينخرط طوعاً في العمل التنموي، ويساهم في إنتاج وسائل التنمية.

^{٣٧} - عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩، ٣٠.

^{٣٨} - انظر: عبد الرحمان يجوي، "دراسة تفويمية لمناهج تدريس اللغة العربية واللسانيات في الجامعة المغربية"، حوليات كلية اللغة العربية بمراكش، عدد ١٧، (٢٠٠٣)، ص ١٠٠.

المصادر والمراجع

١. - إبراهيمي. أمنة، وضع اللغة العربية بالمغرب: وصف ورصد وتخطيط، (الرباط: منشورات زاوية، ٢٠٠٧).
٢. - بلعيد. صالح، "قرار تعميم اللغة العربية واستعمالها: رأي في التجربة الجزائرية"، اللسان العربي (مجلة تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، مكتب تنسيق التعريب بالرباط -المغرب-)، العدد ٤٦، (١٩٩٨).
٣. جحفة. عبد المجيد، "المسألة اللغوية في تقرير الخمسينية"، بصمات (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك، الدار البيضاء -المغرب-)، العدد ٠٤، (٢٠٠٩).
٤. - جيمس. أ. طوليفسن، "السياسة اللغوية وتعليم اللغة"، ترجمة: محمد خطابي، علامات (مجلة ثقافية - المغرب -)، العدد ١٧، (٢٠٠٢).
٥. - الذواحي. محمد: "في مخاطر الازدواجيات اللغوية والثقافية على اللغة الوطنية والهوية الجماعية"، الفكر العربي (مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية)، العدد ٨٠، السنة ١٦-٢/ ١٩٩٥.
٦. - الراضي. محمد، "أنماط السياسة اللغوية والوضع اللغوي بالمغرب"، في: عبد القادر الفاسي الفهري (مشرف)، لغة الحق ولغة القانون، الجزء ١، (الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ٢٠٠٤).
٧. - روبرت.ل. كوبر، التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي، ترجمة: خليفة أبو بكر الأسود، (الكويت: مجلس الثقافة العام، ٢٠٠٦).
٨. - الزغول. محمد راجي، "لغة القوة وقوة اللغة في التعليم العالي في العالم العربي: الصراعات والهيمنة والتحول في الاستخدام اللغوي"، اللسان العربي (مجلة يصدرها مكتب تنسيق التعريب. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالرباط - المغرب -)، العدد ٥٨، (٢٠٠٤).
٩. - الزغير. محمد عبده، "اللغة والهوية: في إطار محور تحديد أدوار اللغة العربية ووظائفها في تشكيل هوية الطفل العربي"، في: لغة الطفل العربي في عصر العولمة: وثائق ودراسات، (القاهرة: منشورات المجلس العربي للطفولة والتنمية، ٢٠٠٧).
١٠. - السيد. محمود، اللغة العربية واقعا وارتقاء" سلسلة تمكين اللغة العربية(١)، (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٠).
١١. - الشريف. حسن، "العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية"، في: أسئلة اللغة، (الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ٢٠٠٢).
١٢. - العشيرى. محمد نافع، "المشهد اللغوي المغربي: دراسة في ضوء مفهوم الازدواجيات المترابطة": أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب ظهر المهرز فاس، المغرب، ٢٠٠٨.
١٣. - العناتي. وليد أحمد، "العولمة اللغوية: التداول بالإنجليزية في العالم العربي، مثل من الأردن"، في: اللغة العربية وتحديات العصر، (عمان: منشورات جامعة البترا الخاصة، ٢٠٠٣).
١٤. - الفاسي الفهري. عبد القادر، "دعم اللغة العربية تعزيزا للهوية القومية والتنمية المجتمعية"، تقارير ووثائق (منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط - المغرب -)، رقم ٦، (٢٠٠٤).

- ١٥- الفاسي الفهري. عبد القادر، أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠).
- ١٦- القاسمي. علي، "تخطيط السياسة في الوطن العربي: السياسة اللغوية لوسائل الإعلام"، أبحاث لسانية (منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط - المغرب-)، العدد ١، المجلد ٢، (١٩٩٧).
- ١٧- القبلي. محمد، "حول بعض جذور الوضع اللغوي الحالي بالمغرب"، بصمات (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك، الدار البيضاء المغربية)، عدد ٠٤، (٢٠٠٩).
- ١٨- القحطاني. عبد المحسن بن فراح، "أثر المجتمع والأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى والعامية"، في: بحوث ندوة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية في الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧.
- ١٩- لويس جون كالفه، إيكولوجيا لغات العالم، ترجمة: باتسي جمال الدين، (الكويت: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤).
- ٢٠- لويس جون كالفه، السياسات اللغوية، ترجمة: محمد يحياتن، (الجزائر: منشورات الاختلاف وبيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٩).
- ٢١- المسدي. عبد السلام، العرب والانتحار اللغوي، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١١).
- ٢٢- المسدي. عبد السلام ورشدي طعيمة، "استراتيجية تنمية لغة الطفل"، الطفولة والتنمية (المجلس العربي للطفولة والتنمية)، العدد ١٦، (٢٠٠٨).
- ٢٣- علي. نبيل، "الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي"، سلسلة عالم المعرفة (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، رقم ٢٦٥، (٢٠٠١).
- ٢٤- نعيمة. صادق محمد، التاريخ الفكري لأزمة اللغة العربية، (الرباط: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨).
- ٢٥- الودغيري. عبد العالي، اللغة والدين والهوية، (الدار البيضاء - المغرب: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٠).
- ٢٦- جيبوي. عبد الرحمان، "الوضع اللغوي بجامعة القرويين وسبل النهوض به"، حوليات كلية اللغة العربية (مراكش - المغرب -)، العدد ١٣، (١٩٩٩).
- ٢٧- جيبوي. عبد الرحمان، "دراسة تقييمية لمناهج تدريس اللغة العربية واللسانيات في الجامعة المغربية"، حوليات كلية اللغة العربية (مراكش - المغرب -)، العدد ١٧، (٢٠٠٣).
- ٢٨- اليملاحي. أمينة، "اللغة العربية بين التحدّد والرسمية"، في: عبد القادر الفاسي الفهري (مشرف)، لغة الحقّ ولغة القانون، الجزء ٣، (الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ٢٠٠٤).

أعمال ندوات وأوراق ووثائق

- ١ - أسئلة اللغة: إعداد عبد القادر الفاسي الفهري وعبد الرزاق تورابي وأحمد بريسول، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس - السويسي، الرباط، المغرب، ٢٠٠٢.
- ٢ - تعليم اللغات: نظريات ومناهج وتطبيقات: أعمال ندوة نظمتها جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، أيام: ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢.
- ٣ - حماية اللغة: أعمال ندوة، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس - السويسي، الرباط، المغرب، ٢٠٠٤.

٤. - لغة الحق ولغة القانون، عبد القادر الفاسي الفهري (مشرف)، أعمال الأيام الدراسية ١-٣ تموز/ يوليو ٢٠٠٣، (الرباط: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ٢٠٠٤).
٥. - لغة الطفل في عصر العولمة: وثائق ودراسات مؤتمر لغة الطفل العربي في عصر العولمة، (١٧-١٩ شباط/ فبراير ٢٠٠٧)، المجلس العربي للطفولة والتنمية، (القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨).
٦. - اللغة العربية وتحديات العصر: وقائع الندوتين المنعقدتين بجامعة البترا الخاصة:
- الهوية اللغوية والعولمة (٢٦ و ٢٧ / ٢٧ / ٠٥ / ٢٠٠٣)
- اللغة العربية والهوية القومية (٢١ / ٢٣ / ٠٣ / ٢٠٠٥)
(عمان: منشورات جامعة البترا الخاصة).
٧. - ظاهرة الضعف اللغوي في المراحل الجامعية: بحوث ندوة (١٧-١٩ / ١٠ / ١٩٩٥)، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية في الرياض، المملكة العربية السعودية. (نشرت سنة ١٩٩٧).